في الدلائل واما في المسائل اما ان يقولوا مسألة تكون حقا لكن يقيمون عليها أدلة ضعيفة وأما ان تكون المسألة باطلا فاخذ ذلك يعظم هذا، وذكر مسألة التوحيد (فقلت) التوحيد حق لكن اذكر ما شئت من ادلتهم التي تعرفها حتى اذكر لك ما فيه فذكر بعضها بحروفه حتى فهم الغلط وذهب الى ابنه وكان ايضا من المتعصبين لهم فذكر ذلك قال فأخذ يعظم ذلك علي فقلت انا لا اشك في التوحيد ولكن في هذا الدليل المعين وبيدلك على ذلك أمور (أحدها) أنك تجدهم اعظم الناس شكا واضطرابا وأضعف الناس علما ويقينا، وهذا أمر يجده ونه في انفسهم ويشهد الناس منهم، وشواهد ذلك أعظم من أن تذكر هنا، وانما فضيلة احدهم باقتداره على الاعتراض والجدل والدليل ومن المعلوم ان الاعتراض والقدح ليس بعلم ولا فيه منفعة، وأحسن أحوال صاحبه ان يكون بمنزلة العامي وانما العلم في جواب السؤال ولهذا تجد غالب حججهم تتكافأ فان كل منهم يقدح في أدلة الآخر وقد قيل ان الاشعري مع أنه من أقربهم الى السنة والحديث وأعلمهم بذلك صنف في آخر عمره كتابا في تكافؤ الادلة يعني ادلة [علم] الكلام فان ذلك هو صناعتهم التي يحسن الكلام فيه ومازال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدى في طريقهم كما ذكرناه عن ابي حامد وغيره حتى قال ابو حامد الغزالي اكثر الناس شكا عند الموت اهل الكلام وهذا ابو عبد الله الرازي من اعظم الناس في هذا الباب، باب الحيرة والشك والاضطراب لكن هو مسرف في هذا الباب بحيث له نهمة في التشكيك دون التحقيق بخلاف غيره فانه يحقق شيئا ويشك على نوع من الحق لكن بعض الناس قد يثبت على باطل محض بل لا بد فيه من نوع من الحق وكان من فضلاء المتأخرين وأبرعهم في الفلسفة والكلام ابن واصل الحموي كان يقول: أستغني على قفاي وأنا مع المحققة على نصف وحتى ثم اذكر المقالات وحجج هؤلاء وهؤلاء = واعتراض هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء ولهذا أنشد الخطابي

ك ان ادلة الطالب المتعارضة والمتضادة تتساوى فلا يرجح بعضها على بعض فيتحير الطالب ولا يتمكن من اختيار بعضها او ترجيحه

ل يعني الغزالي

حجج تهافت كالزجاج نخالها حقا وكل كاسر وكسير

فاذا كانت هذه حال حججهم فأي لغو وباطل وحشو يكون أعظم من هذا وكيف يليق بمثل هؤلاء أن ينسبوا اهل الحديث والسنة الذين هم أعظم الناس علما ويقينا وطمأنينة وسكينة يعلمون ويعلمون أنهم يعلمون وهم بالحق يوقنون لا يشكون ولا يمترون، فأما ما اوتيه علماء اهل الحديث وخواصهم من اليقين والمعرفة والهدى فأمر يجل عن الوصف ولكن عند عوامهم من اليقين والعلم النافع ما لم يحصل منه شيء لأئمة المتفلسفة المتكلمين وهذا امر مشهود لكل احد غاية ما يقول أحدهم أنهم جزموا بغير دليل وصمموا بغير حجة وانما معهم التقليد وهذا القدر قد يكون في كثير من العامة لكن جزم العلم غير جزم الهوى فالجازم بغير علم يجد من نفسه أنه غير عالم بما جزم به والجازم بعلم يجد من نفسه انه عالم، اذ كون الانسان عالما وغير عالم مثل كونه سامعا ومبصرا وغير سامع ومبصر فهو يعلم من نفسه ذلك مثل ما يعلم من نفسه كونه محبا ومبغضا ومريدا وكارها ومسرورا ومحزونا ومنعما ومعذبا وغير ذلك ومن شك في كونه يعلم مع كونه يعلم فهو بمنزلة من جزم بأنه علم وصولا لعلم وذلك نظير من شك في كونه سمع ورأى أو جزم بانه سمع ورأى ما لم يسمعه ويراه والغلط والكذب يعرض للانسان في كل واحد من طرفي النفي والاثبات لكن هذا الغلط والكذب العارض لا يمنع ان يكون الانسان جازما بما لا شك فيه من ذلك كما يجزم بما يجده من المطعوم والاراييح وان كان قد يعرض له من الاخراف ما يجد به المرار، فالأسباب العارضة لغلط الحس الباطن او الظاهر والعقل بمنزلة المرض العارض لحركة البدن والنفس والاصل هو الصحة في الادراك وفي الحركة فان الله خلق عباده على الفطرة وهذه الامور يعلم الغلط فيها بأسباب خاصة كالمرة الصفراء العارضة للطعم وكالمحول في العين ونحو ذلك، والانسان بحسب نفسه على ما يجزم به وجد اكثر الناس الذين يجزمون بما لا يجزم به الناظر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)